وزارة التعليم العالي والبحث العلمي — جامعة زيان عاشور بالجلفة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية — قسم التاريخ والآثار
السنة ثالثة ليسانس تاريخ عام — مقياس المشرق الإسلامي

المحاضرة الثانية: الخلافة العباسية من التأسيس إلى نهاية خلافة الهادي.

أولا–تقسيمات العصور العباسية

دامت الخلافة العباسية خمسة قرون وربع قرن (132-656هـ/ 750-1238م) قسمها المؤرخون إلى أربعة عصور:

– **العصر العباسي الأول**: امتد هذا العصر قرنا من الزمن (132-232هـ/ 749-847م) ويعد العصر الذهبي للخلافة العباسية، حيث حكم فيه خلفاء أقوياء تمتعوا بسلطاتهم الدينية والدنيوية كاملة، ويطلق على هذا العصر أيضا تسمية العصر الفارسي.

– **العصر العباسي الثاني**: (عصر النفوذ التركي) مدته قرن ونيف من الزمن (232-334هـ/ 847-946م) ويسميه البعض عصر النفوذ التركي الأول وذلك في إشارة إلى عصر نفوذ السلاجقة على أنه عصر النفوذ التركي الثاني، عرف هذا العصر سيطرة قادة الجيش من الأتراك على مفاصل الحكم بالدولة.

– **العصر العباسي الثالث**: استمر قرنا وثلاثة عشر سنة (334-447هـ/ 946-1055م) ويسمى العصر البويهي كناية على سيطرة بني بويه على مفاصل الحكم بالدولة.

– **العصر العباسي الرابع** استمر قرنا وتسع سنين (447-656هـ /1055 1258م): وهو عصر نفوذ السلاجقة الأتراك، شهدت نهايته اجتياح المغول لأراضي الدولة العباسية والقضاء على الخلافة في بغداد.

ثانيا–خلافة أبي العباس السفاح (132–136هـ/ 750–754م):

هو عبد الله بن محمد بن علي ولد سنة 100هـ/ 718م وبويع له في الكوفة في شهر ربيع الأول 132هـ/ 749م دام حكمه أربع سنوات تمكن فيها من القضاء على الأمويين وتوطيد أركان الدولة الجديدة، وأخمد الثورات الداخلية بحزم شديد كثورة حبيب بن مرة بفلسطين ثورة أبي الورد بالشام، وثورة ابن اسحاق بن مسلم بالجزيرة.

وفي عهده تم التخلص من أبي سلمة الخلال (132هـ/ 750م) الذي كان يدير أمور الدعوة في الكوفة وما جاورها وكان يلقب بوزير آل محمد، وكان السبب في مقتله أنه تأخر في تقديم البيعة للسفاح وحاول الاتصال بالعلويين ودعوتهم للكوفة لمبايعتهم بدل السفاح، كما قام أبو مسلم الخراساني بقتل سليمان بن كثير الخزاعي نقيب نقباء الدعوة في خراسان بعد اتهامه بالاتصال بأحد أفراد البيت العلوي وتحريضه على الثورة ضد العباسيين.

من أعمال السفاح أيضا قيامه بنقل مقر الخلافة من الكوفة التي كان يعلم أن أهلها علوية إلى مدينة ابتناها قرب الأنبار وسماها الهاشمية والتي ظل بها إلى غاية وفاته في 13 ذي الحجة 136هـ/ 09 جوان 754م وكان قد عهد بالخلافة من بعده لأخيه أبو جعفر المنصور ثم لابن أخيه عيسى بن موسى.

ثالثا–خلافة أبي جعفر المنصور (136–158هـ/ 754–775م):

هو أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي ولد سنة 95 هـ بالحميمة، استعان به أخوه السفاح في إدارة شؤون الدولة وكان ينوب عنه في قيادة ركب الحج.

يعتبر المؤرخون أن أبا جعفر المنصور هو المؤسس الحقيقي للدولة العباسية حيث وطد أركان الدولة وواجه التمردات بحزم واقتدار وأسس عاصمة العباسيين بغداد.

أهم الأحداث في فترة حكمه:

01–القضاء على عمه عبد الله بن علي:

كان أبو العباس السفاح قد أرسل سنة 136هـ واليه على الشام عبد الله بن علي إلى الحدود الشمالية للدولة لرد الهجمات البيزنطية غير أنه توفي في نفس السنة، ولما علم عبد الله بن علي بذلك أوقف حملته واستغل الجيش الذي معه للتمرد على أبي جعفر المنصور رافضا بيعته حيث أعلن أنه أولى منه بالخلافة وأن السفاح قد وعده بولاية العهد، وكان هذا التمرد أول المشاكل التي واجهت الخليفة الجديد حيث حاول في البداية حل الأمر سلميا فراسل عمه عدة مرات يطالبه بالبيعة ولزوم الجماعة غير أنه رفض ذلك فأرسل المنصور قائده العسكري أبا مسلم الخراساني على رأس جيش كبير لمواجهة هذا التمرد، ودارت بين الطرفين معارك عدة استمرت ستة أشهر وانتهت بانتصار أبي مسلم وفرار عبد الله

بن علي إلى أخيه سليمان والي البصرة الذي سلمه للمنصور بعد أن أخذ منه الأمان لأخيه، فقام المنصور بسجنه حتى مماته سنة 147هـ.

02-القضاء على أبي مسلم الخراساني:

رغم الدور البارز الذي كان أبو مسلم يقوم به إلا أن أخطاء جسيمة ارتكبها جعلت المنصور ينقم عليه، حيث أشار على الخليفة أبي العباس السفاح عدة مرات لقتله غير أن السفاح أبى ذلك خشية من ثورة الفرس عليه، وبعد ثورة عبد الله بن علي وجه المنصور أبا مسلم الخراساني لمواجهته وذلك كي يتخلص من أحدهما على أن يستفرد بالثاني بعد ذلك، ولما علم المنصور بانتصار أبي مسلم وجه له -عمدا-رسولا لإحصاء الغنائم وهو ما أغضب أبا مسلم الذي اعتبر هذا التصرف إجحافا في حقه فقال: "أؤتمن على الدماء ولا أؤتمن على الأموال".

بعد ذلك وجه إليه المنصور رسولا يوليه على مصر والشام محاولا إبعاده عن أنصاره في خراسان حيث كتب إليه: "إني قد وليتك الشام ومصر، وهما خير من خراسان فابعث إلى مصر من شئت، وأقم أنت بالشام لتكون أقرب إلى أمير المؤمنين، إذا أراد لقاءك كنت منه قريبا." فغضب أبو مسلم من ذلك، وقال: قد ولاني الشام ومصر، ولي خراسان! فإذا أذهب إليها، وأستخلف على الشام ومصر وخرج عائدا نحو خراسان.

أراد المنصور أن يصرف أبا مسلم عن خراسان حتى لا يتخذها قاعدة ويستقل بها، فاستدعاه للقدوم إليه خلال عودته إلى خراسان غير أن أبا مسلم رفض تلبية أمر الخليفة، فأرسل إليه الأخير يهدده ويتوعد إن لم يجب أمره، وقام في نفس الوقت بتعيين أبي داوود نائب أبي مسلم واليا على خراسان على أن يمنع الأخير من الدخول إليها، فكتب أبو داوود لأبي مسلم: "إننا لم نخرج لمعصية خلفاء الله فلا تخالف إمامك ولا ترجع إلا بإذنه" وهو ما أضعف موقف أبي مسلم وهز ثقته بنفسه وبمن حوله، فأقبل على المنصور بعد أن طلب الأمان منه وحضر قصر الخلافة فعدد عليه المنصور أخطاءه ثم قتله.

لقد أثار مقتل أبي مسلم استياء الفرس في خراسان حيث اتخذوا من مقتله ذريعة للثورة على الدولة العباسية وهو ما سنتطرق له لاحقا.

03-ثورة محمد النفس الزكية:

لقد أثار قيام الدولة العباسية حفيظة العلويين الذين كانوا يعتقدون أنهم أولى بالخلافة من غيرهم وأن العباسيين اغتصبوها منهم كما اغتصبها الأمويون من قبل، لذلك قاموا بعدة ثورات كانت أولاها ثورة محمد النفس الزكية في المدينة المنورة وأخيه إبراهيم في البصرة سنة 145هـ حيث قرر الأخوان إعلان الثورة في وقت واحد غير أن مرض إبراهيم أدى إلى تأخره في ذلك مدة شهرين.

وجه المنصور عمه على رأس جيش كبير لمواجهة ثورة محمد النفس الزكية وفرض في نفس الوقت حصارا اقتصاديا على الحجاز وهو ما سهل مهمة عيسى بن موسى الذي دخل المدينة وقتل قائد الثورة.

أما إبراهيم فقد قام بثورته بعد ذلك في البصرة واستطاع السيطرة عليها، غير أنه تأخر في الهجوم على الكوفة مركز الخلافة آنذاك ولم يستغل تشتت جيوش المنصور، وهو ما استفاد منه الأخير حيث وجه أمراً عاجلا لعيسى بن موسى بالعودة سريعا إلى البصرة للقضاء على الثورة هناك، وفعلا توجه الجيش العباسي نحوها ودارت معركة بين الطرفين انتهت بانتصار العباسيين ومقتل إبراهيم.

04-محاولة استرجاع الأندلس:

في سنة 138هـ تمكن عبد الرحمان الداخل من تأسيس الإمارة الأموية في الأندلس والانفصال بها عن الخلافة العباسية، وقد حاول المنصور استرجاعها بتكليف العلاء بن مغيث اليحصبي وهو أحد أعيان باجة على الثورة، حيث أمده بقوات في إفريقية وولاه على الأندلس سنة 146هـ/ 763م، فعبر العلاء إلى الأندلس وانضم إليه خصوم عبد الرحمان الداخل غير أن الأخير تمكن من القضاء على هذا الجيش وقتل العلاء بن مغيث، وبذلك انتهت أهم محاولة لإرجاع الأندلس للخلافة العباسية.

والجدير بالذكر أن الخليفة المنصور هو من لقب عبد الرحمان الداخل بلقب صقر قريش وذلك إعجابا به وبشجاعته.

05-بناء مدينة بغداد:

قرر المنصور بناء عاصمة جديدة تتناسب مع مكانة دولته الجديدة ووقع اختياره على منطقة بين نهري دجلة والفرات وبالضبط على أحد روافد نهر دجلة يسمى ديالي، وكان لاختيار هذا الموقع عوامل عديدة محفزة نوجز أهمها فيما يلي:

أ–العامل الطبيعي: اختار المنصور موقعا يتميز باستواء أرضه وطيب مناخه وخصبة تربته، إضافة إلى توفر المياه فيه حيث كان موقع بغداد في البقعة التي يقترب عندها نهرا دجلة والفرات من بعضهما فكانت أراضيها وزروعها ترتوي منهما.

ب–العامل السياسي والإداري: إن الموقع الذي اختاره المنصور لبناء بغداد كان يتوسط العراق وقريبا من مختلف المناطق التي تسيطر عليها الخلافة العباسية بحيث تسهل إدارتها وتوجيه المراسلات لها وحتى الجيوش إذا حدثت بها ثورة أو عصيان.

ج–العامل العسكري: إن موقع بغداد بين نهري دجلة والفرات يمنحها حصانة طبيعية ضد الحملات العسكرية. ومما قيل للمنصور في هذا الشأن: "وأنت بين أنهار لا يصل إليك عدوك إلا على جسر أو قنطرة، فإذا قطعت الجسور وأخربت القناطر لم يصل إليك عدو إلا احتاج إلى العبور".

د–العامل التجاري: لخص المنصور الميزة التجارية لبغداد بقوله: "هذه دجلة ليس بيننا وبين الصين شيء يأتينا فيها كل ما في البحر، وتأتينا الميرة من الجزيرة وأرمينية وما حول ذلك، وهذه الفرات يجيء فيها كل شيء بالشام والرقة".

جعل المنصور مدينته مستديرة الشكل (بغداد هي أول مدينة دائرية في العالم) وقصره في وسطها وإلى جانبه المسجد الجامع أما الدواوين فكانت تحيط به على مسافة متساوية من القصر، وكان للمدينة سوران وأربعة أبواب هي: باب خراسان وباب الشام وباب البصرة وباب الكوفة.

استمر بناء بغداد أربع سنوات (145-149هـ)، ولما فرغ المنصور من بنائها أقطع أعيان دولته وقواده خارج سور بغداد وجعل سوق المدينة بالكرخ قرب المدينة.

06–التنظيمات الإدارية والمالية والعسكرية:

ضبط المنصور مهام الوزير وحدد صلاحياته حيث أصبح يرفع له تقارير أصحاب الوظائف الكبرى التي تلي الوزارة كالحاجب والقاضي وصاحب الشرطة...، أما في الجانب المالي فقد أدخل المنصور على نظام الخراج نظام المقاسمة (أخذ الخراج عينيا من المحاصيل)، وكان متشددا في محاسبة عماله إلى درجة تصل البخل أحيانا حتى لقبه البعض آنذاك بأبي الدوانيق (الدانق مقدار لا يزيد عن سدس الدرهم) وقد مكنته سياسته المالية هذه من توفير أموال كثيرة لبيت المال.

وبالنسبة للجيش قام المنصور بتقسيمه إلى قسمين قسم للعرب وقسم للفرس وكان هو قائده الأول.

07-إبعاد عيسى بن موسى عن ولاية العهد:

في سنة 148هـ تمكن المنصور من اقناع ابن أخيه عيسى بن موسى –بالترغيب تارة والترهيب تارة أخرى-بالتنازل عن ولاية العهد لابنه المهدي على أن تعود له الخلافة من بعده.

ثالثا-خلافة محمد المهدي (158-169هـ/ 775-785م)

بويع المهدي بالخلافة سنة 158هـ/ 775م، وكان في عمره 32 سنة، اتسمت سياسته باللين تجاه رعيته فبادر إلى إطلاق المسجونين ورد الأموال التي صادرها أبوه، واهتم برد المظالم لأهلها حتى أنه كان يرافق قاضي بغداد عند النظر في المظالم.

عمل المهدي على استرضاء خصوم والده فأطلق سراح المساجين من العلويين ورد عليهم أموالهم، بل واستوزر منهم يعقوب بن داوود رغم مشاركته في ثورة محمد النفس الزكية، وكان الهدف من ذلك إرضاء العلويين من جهة وجمع الأخبار عنهم عن طريق وزيره من جهة أخرى.

كما حرص المهدي على استرضاء أهل الحجاز أثناء أدائه فريضة الحج سنة 160هـ/ 777م حيث وزرع عليهم الأموال الكثيرة، ورد لهم الحبوب الواردة إليهم من الشام ومصر والتي كان والد قد منعها عنهم إثر ثورة محمد النفس الزكية، كما جعل بعض حراسه من أهل الحجاز ووسع المسجد الحرام ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة، وزار الشام (معقل الأمويين) ووزع فيها الأموال.

اهتم المهدي أيضا بتنظيم أمور الإدارة فنظم أحوال الخراج والجبايات وزاد في عدد الدواوين ورتبها، كما عني بشؤون الوزارة وفي عهده صار للوزير شأن عظيم لم يبلغه من قبل.

01-تدخل النساء في الحكم:

كان عهد المهدي فاتحة لتدخل النساء في الحكم، فقد كانت زوجته الخيزران وهي جارية شديدة الجمال تتدخل في تعيين الولاة والمسؤولين وعزلهم، وتشفع لمن سجن منهم، وهي تصرفات فتحت ثغرة في السياسة العباسية استمرت طيلة عهد المهدي.

02–سياسة المهدي الخارجية:

أ–مع البيزنطيين:

واصل المهدي سياسة والده تجاه البيزنطيين فاهتم بتحصين الثغور وأرسل الحملات لغزو المدن البيزنطية، ومنه حملته التي قادها سنة 165هـ ثم تنازل لابنه هارون الرشيد عن قيادتها في آسيا الصغرى ليواصل الأخير الحملة حتى وصل بها إلى مضيق البوسفور ما أجبر الإمبراطورة إيرين –التي كانت وصية على ابنها قسطنطين السادس– على طلب الهدنة مقابل أداء الجزية.

ب–مع الأمويين في الأندلس:

حاول المهدي استرجاع الأندلس عن طريق واليه على المغرب عبد الرحمان بن عبد الله الفهري المعروف باسم الصقلي، غير أن عبد الرحمان الداخل تمكن من هزيمته سنة 161هـ/ 778م.

03–نقل ولاية العهد لابنه الهادي:

بذل المهدي جهدا كبيرا لعزل عيسى بن موسى عن ولاية العهد وقد مارس عليه في سبيل ذلك ضغطا شديدا انتهى بخلع عيسى بن موسى نفسه عن ولاية العهد وتولية الهادي سنة 159هـ، وفي سنة 166هـ تمت مبايعة هارون الرشيد ليكون وليا لعهد الهادي.

رابعا–موسى الهادي (169–170هـ/ 785–786م)

كانت مدة حكم الهادي أقصر فترة خليفة في تاريخ الدولة العباسية، وقعت خلالها معركة فخ ضد العلويين قرب مكة المكرمة في 08 ذي الحجة 169هـ/ 785م، وكان سبب الموقعة ثورة العلويين بالمدينة بسبب خلافهم مع واليها حيث سيطروا على المدينة بقيادة الحسين بن علي ثم مكة وانضم لهم عدد من الحجيج والعبيد، فأرسل الهادي جيشه بقيادة محمد بن سليمان وانتهت المعركة بهزيمة العلويين ولم ينج منهم إلا عدد قليل منهم إدريس بن عبد الله مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى.

ومن الأعمال التي قام بها الهادي إلزامه لأمه الخيزران بعدم التدخل في شؤون السياسة بعد كانت لها يد طولى في عهد والد المهدي.

01–ولاية العهد:

سعى الهادي إلى خلع أخيه هارون الرشيد من ولاية العهد وتعيين ابنه جعفر، غير أن الرشيد رفض ذلك وظل ثابتا على موقفه مقاوما لتهديدات الهادي وإغراءاته إلى أن توفي الأخير في شهر ربيع الأول من سنة 170هـ/ 786م.